وداعاً للسيدة «ميم»

صباح جلوك

في الواقع كانت المدام «ميم» بغاية اللطف فعلاً. أجمل سيدة عجوز رأيتها في حياتي، أجمل حتى من مدرّسة الديكور الطيبة السيدة «ألف». كل فساتينها بألوان الطبيعة، الترابية والباستيل منها: أشياء رائقة بحقّ. وجميع تلك الفساتين تبدأ من تحت العنق بسنتيمترات قليلة، وتنتهي في المسافة الواقعة بين الركبة والكاحل. شعرها القصير مصفف إلى الوراء في تسريحة أبديّة، بحيث أني لا أخالها جرّبت يوماً غيرها. رصانتها لا تبيح لها أن تصبغه، ولا خصل تخرج متمرّدة عن «التصفيفة» البيضاء المستوية أبداً. كل شيء في مكانه، ومدام «ميم» هي أجمل قطع محلّها الأثري. كي تتخيّلها على نحو أفضل: فولارها الحرير الذي تضعه صيفاً وشتاءً، مربوط دوماً في عقدة صغيرة حول عنق ذي ثنيات دقيقة. رائحتها «صابون»، كمعظم الذين يتقدمون في السن، لكنه ليس ذلك الصابون البلدي أو المعطّر الرخيص. لا بدّ إنه صابون مستورد، من فرنسا على الأرجح. وقد كانت، كما قلت، بغاية اللطف فعلاً، فقبلت على الفور عرضها عليّ مهمة الاهتمام بمتحفها الصغير. في الواقع، ليس أحب على قلبي من تمضية وقتي مع أغراض صمّاء بكماء، عمرها مئات السنين، في مكان نادراً ما تطأه أقدام بشرية دخيلة. كانت تلك وظيفة العمر بالنسبة لشخص بمثل حالتي، يحب الأشياء الهشة والعتيقة، ويتوتر سريعاً من الاجتماع بالناس.

زرت السيدة «ميم» أربع مرّات أو خمس، تعلّمت فيها أسماء أدويتها والبلدان التي زارتها وأعمار الأشياء الجميلة المعروضة. لم يفتها أن تُعلِمَني أن أصدقاءها هم من عائلات إقطاعية أصيلة. هي لا تحب «نوفو-ريش» ما بعد الحرب، ولا تحب الحرب، لأنها كادت أن تقتلها ـ بالخطأ ـ يوماً ما. فكرّت بأسماء أصدقائها المألوفة، وغير الأليفة بالضرورة، وسألت نفسي للحظة عمّا أفعل في هذا المكان. فكرت بكلفة تأثيث تلك الغرفة بارعة الجمال.

...

حسناً، الحكاية تُحكى في جملتين:
في أوّل مرة رأيت فيها السيدة «ميم»، قالت لي: «إنتِ هدية من السما».
في آخر مرّة رأيت فيها السيدة ميم، قالت لي: «إنتِ من الضاحية، بعرف، بس مهذبة وذكية وبتعرفي تلبسي».
بعد كلمة «بس»، سألت نفسي للحظة أطول بكثير من اللحظة الأولى عمّا أفعل في هذا المكان. كان ذلك كوكباً آخر أعاينه بوضوح للمرّة الأولى.

■■■

استقلّيت الفان إلى الكوكب الأم يومها، إلى الضاحية، وكانت الشمس ترنو إلى مغيبها. عندما نزلت، كانت سحب الدخان تتصاعد من مكان قريب في الشارع الموازي. لم أسمع أي صوت، لكن في لحظة، صار الجميع يتجه نحو الدخان بسرعة. دراجة نارية كادت تدهسني في طريقها مسرعة نحو المكان، فتبعتهم.
في اليوم التالي، اتصلت بالسيدة ميم. كلّمتني لنحو عشرين دقيقة عن وضعها الصحّي، وقالت إنها الآن قابعة في المستشفى الذي تكرهه، تنتظر طبيبها الشخصي ليأتي إليها. تمنيت لها الصحة من قلبي، واضطررت إلى أن أكرر وأن أرفع صوتي كي تسمعني جيداً. ثمّ أردفتُ: عزيزتي السيدة «ميم»، أنا أحب أغراضك الصماء العجوز مثلك، لكنني لن أستطيع العمل معك في عالمك القصيّ. عليّ أن أبقى هنا، وأعُدّ الانفجارات وأحصي الشهداء والحرجى، وأجمع أعصابي. وتلك وظيفة بدوام كامل، ولا تحتاج لباساً «متحفجياً»، ولا ذكاء خارقاً. كما قد تعوزها بذاءة اللسان أحياناً. وهي وظيفة مضنية بما يكفي، صدّقيني مَدام، وداعاً.

في صف الذين «شكلهم غلـ

إيناس القادري

«شكلو غلط». هذا ما قاله السائق وهو يشرح لزملائه السّائقين في موقف «السّومرية -دمشق»، أسباب رفضه اصطحاب عائلة «أبو ساري» معه من سوريا إلى لبنان. هكذا، بكل صراحة ولياقة ممكنة، ببساطة، طلب منهم العودة إلى منزلهم. هذا «أفضل لهم لأنّ الأمن العام اللبناني لن يسمح لهم بالعبور». بحسب السائق، الأمن العام لن يسمح لهؤلاء بالذات بالدخول إلى الأراضي اللبنانية الكريمة: «هؤلاء من هم بنظر الأمن العام اللبناني شكلهم غلط». والسّائق الفجّ والعنصري، كان يحاول أن يكون أميناً وإنسانيّاً. بالتأكيد، لا يقصد الإساءة أو الاستخفاف بمظهر «أبو ساري». جلّ ما في الأمر أنه لم يشأ لهذا الرجل ولزوجته وأطفاله الصغار جدّاً، أن يتكبّدوا عناء الطريق ليُهانوا ويعودوا أدراجهم خائبين. وهو يعرف أكثر من غيره مرارة الذّل التي يتجرّعها المواطن السوري اللّاجئ كل يوم على الحدود اللبنانيّة.
كانت العائلة شأنها شأن كثير من العائلات السورية على علم بقرار الحكومة اللبنانية بوقف استقبال اللاجئين السوريين. لم يشغلوا بالهم بالرحيل من قبل، لكن هذه الأخبار سرعان ما تبدّلت إذ أخبرهم ذووهم في لبنان، بقرار فتح الحدود اللبنانيّة ـ السوريّة، لمدة أسبوعين لمناسبة الأعياد. حزموا حقائبهم واستعدّوا لترك أتون الحرب المشتعل في سوريا والفرار إلى تركيا بالباخرة عبر لبنان. لكن للأسف لم يخطر ببال هذه العائلة، أن هذا القرار هو قرار «جزئي» وأنه ساري المفعول على معايير «شكلية». «شكليّة» بمعناها اللغوي الدقيق، وبحسب سائق التاكسي، أبو ساري «شكلو غلط»، ولا تنطبق عليه المعايير! ماذا عن أم عبدو؟ ترى هل سنأخذها معنا أم لا؟ هل تعبر هيئتها وهندامها الحدود؟ هذه الأسئلة بدت واضحة في عيني السائق ونظراته الحائرة. فهو منهمك بالتّحليل. لم يستطع تحديد ما إذا كانت أم عبدو ستعبر أم لا! فقرر المحاولة. ولِمَ لا؟ لن يخسر شيئاً. فهو معتادٌ على مصارحة المسافرين، السوريين خصوصاً، بالوضع القاسي على الحدود واحتمال الرجوع، كما أنه يقبض أجرته كاملة مهما حدث. القرار للمسافر، فهو لم يغشّه. يحلل السائق كثيراً، لكنه لا يغش.
وفي الغالب، يقرر المسافر المغامرة، والاتكال على الله. وطبعاً، أم عبدو لن تنتظر رحمة أحد في ظل وجود رحمة الله، فقرّرت المغامرة، متكّلة على الله، لا على السائق، ولا على الرئيس القائد، ولا على الثائر. كانت على ثقة بأن الله لن يخذلها، رغم كل ما سمعته من حكايات عن مسافرين أُرغموا على العودة وعن

«أخلاقيّة» بقيمة 200 ليرة سوريّة

(بانكسي)

نوار رحموني

هل جارك سوريّ الجنسية؟ طبعاً، العلاقة بين اللبنانيين والسوريين طويلة. من المؤكد أنك تجاور أحدهم، أو تعمل معهم، أو أي شيء من هذا النوع. هذا ليس «طارئاً» كما يصرّ البعض على القول. على كل حال، استغل هذه اللحظة، ولا تفوّت على نفسك فرصة سؤاله عن «الأخلاقيّة»، ولا تتردد أبداً بتسجيل «فيديو» للواقعة أثناء سرده لمغامراته مع «الأخلاقيّة»، لتعود إليها كلما أردت التنفيس عن غضبك وتضحك قليلاً. شباب سوريا جميعهم، فلنقل معظمهم، نال «حصته التأديبيّة»، في فرع «الأخلاقية» التابع لشرطة الآداب. مهمّة الأخلاقيّة، أخلاقيّة بحتة، ومضحكة. كانوا يحرسون «البنات» أمام مدارسهن، من «تلطيش» الشباب لهن، فإذا مرّت سيارة تابعة لهم، انتشر الشباب في كل الاتجاهات، وتبدأ مغامرات الكر والفر اليوميّة. وإن تمكن «الأخلاقيّون» من إلقاء القبض على أحد هؤلاء الشباب الـ«لا أخلاقيين» تفننوا بحلاقة شعره على «الصفر»، أو «الواحد» إذا كانوا متسامحين، وهي أحد أشهر موديلاتهم، مع المناسب من الصفعات. تعرفون، الصفع: تربيّة معاصرة! شباب سوريا، كانوا زبائن مداومين، اعتادوا مواكبة «موضة» حلاقة الشعر تلك، وراحت تزيد